تخطيط وعمارة جامع واسط

مدينة واسط :

هي مدينة عراقية قديمة تقع في وسط العراق بين مجموعة من المدن الرئيسية الأخرى وتبعد عن العاصمة العراقية بغداد حوالي ١٨٠ كيلومتراً من جهة الشمال، وتعد الرابط بين بغداد وجنوبي العراق، وتعتبر مدينة الكوت العراقية عاصمة لواسط ، والتي يمر فيها نهر دجلة الذي يغذي مجموعة من الأنهار الأخرى، مثل: الدجيلة، والشطرة وغيرهما.

تقع أطلال هذه المدينة الواسعة الارجاء ومترامية الاطراف وممتدة على جانبي دجلة القديم المعروف اليوم بالدجيلة ، وتعلو أثارها في بعض الجهات نحو ١٥ مترا وتنتشر في أرض مساحتها ثلاثة كيلو مترات مربعة ، وتقع هذه الاطلال على بعد (٣٠ كم) الى الجنوب الشرقي من مدينة الحي وعلى بعد (٥٠كم) الى الجنوب الشرقي من مدينة الكوت.

تم تأسيس مدينة واسط في عهد الحجاج بن يوسف حتى تكون مقراً لجيشه، كما أن مكانها الجغرافي المميز والذي يقع في وسط مجموعة من المدن العراقية الرئيسية منحها أهميتها التاريخية، وهنا جاءت تسميتها واسط؛ لأنها منطقة متوسطة بين الأحواز والبصرة والكوفة، كما أنها استخدمت كمركز تجاري بري، وبحري وهكذا ظلت تعرف باسم واسط حتى هذا الوقت.

بناء المدينة يعود لعام ٧٠٢ للميلاد، والذي يوافق عام ٨٣ للهجرة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ولقد تم سك عملة فضية خاصة بالمدينة، وبنى الحجاج فيها قصره الخاص ذو القبة الخضراء، وأيضاً بني في واسط المسجد الجامع، والسوق العامر الذي كان يجتمع فيه أغلب التجار العرض بضاعتهم أمام الناس.

شهدت واسط خلال فترة زمنية قصيرة نمواً حضارياً سريعاً في أغلب المجالات الاجتماعية والاقتصادية فقد اتخذها الحجاج مركزاً لإدارة مجموعة من الأقاليم العراقية، واشتهرت فيها الأعمال الصناعية، والحرفية كالنجارة، وصناعة الفخار وغيرهما، وأيضاً تميزت بانتشار القصب فيها، حتى أطلق عليها مسمى واسط القصب.

تشير الأبحاث والدراسات الأثرية من خلال المكتشفات التي تم الوصول إليها في عام ١٩٣٦م، فاكتشف مسجد المدينة، ومقبرة قديمة، ومجموعة البقايا الأثرية الأخرى،

أما ما تبقى من قصر الحجاج فهي مجموعة من الأعمدة، والزخارف المعمارية الإسلامية وغيرها من الآثار المتبقية القليلة. إن سبب غياب أغلب معالم واسط يعود إلى انتشار شح المياه الشديد فيها، مما أدى إلى رحيل الناس عنها، وهجرها ليصيبها ما أصابها من إهمال حتى تمت إعادة بنائها مجدداً، واكتشاف ما وجد من آثار في أرضها.

- **المسجد الجامع:**

المسجد في واسط هو عبارة عن أربعة مساجد متراكمة أي بمعنى أن المسجد مبني على أنقاض الآخر.

١- المسجد الجامع الأول الذي بناه الحجاج ويعد المسجد الأول في سنة ٨٣هـ
٢- المسجد الجامع الذي بني حوالي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م.
٣- المسجد الجامع الذي بني على أسس الجامع الثاني سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥م.
٤- المسجد الرابع بني على أسس الجامع الثالث خلال العصر المغولي .

- **الجامع الأول:**

كان المسجد الجامع في واسط الذي بناه الحجاج بن يوسف الثقفي على الضفة الغربية من المدينة ، يجمع بين البساطة والجلال كمسجد الكوفة ، وكان البناء مشيداً بالأجر والجص ، ويشمل أرضاً مربعة أبعادها (١٠٣×١٠٣ متراً) ، وسمك الجدران تناهز المترين ونصف المتر، ولم يبق من بناء هذا المسجد غير بقايا الاسس وأجزاء صغيرة من الجدران وبعض الاساطين المدفونة في الانقاض ، كما اندثرت معالم محرابه ، ألا أن هذه البقايا كانت كافية للاستدلال بها على بقايا وأبعاد الجامع وعدد بلاطاته وأروقته، كان صحن المسجد مستطيلاً أبعاده (٦٦× ٨٨ متر) تحيط به البلاطات من جوانبه الاربعة ، ففي حرم الجامع خمسة أروقة ، يتألف كلاً منها من (١٩ بلاطة) ، ويوجد في مؤخرته وجانبيه رواق واحد فيه (١٣ بلاطة) .

وكان يقوم عند تقاطع أسس البلاطات مع أسس أروقة المصلى (سواري) مؤلفة من قطع من الحجارة الرملية المنحوتة ، كانت موضوعة كل قطعة فوق الأخرى مفرغ فيها الرصاص ومسكوكة بسفود من حديد يخترق طول الاسطوانة .

كانت بعض قطع الاساطين مزخرفة وبعضها خالية منها وتبدو الزخرفة بشكل بارز ولها ارضية محفورة ، وقوام الزخرفة غصن نبات الكرمة متموج يتشابك ورقها مع خيوطها ، وفيها أزهار أو عناقيد ذات سطح مقنى ، وأن ما أكتشف من السواري

(الاعمدة) في جامع الحجاج يشبه ما وجد في الطبقة الثالثة مما يؤكد أن قد استعمل في هذا الجامع سواري الجامع الذي بني قبله ولكنه كان أستعماله مشوشاً ، أذ لم يأخذ بنظام الزخرفة الكامل الذي تؤلفه كل سارية فضاع أنسجامها ما دعا إلى اكساءها بطبقة من الجص ويختلف حجم هذه القطع فقطرها بين (٩٠– ١١٠سم) ، وقد عثر على قطعة أسطوانية في الجامع الثالث عليها كتابة هذا نصها **(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه اخر أسطوانة عملها الواسطي في هذا الرواق ، وبالله)** ،

ويعتقد الباحث بحشل الواسطي صاحب كتاب تاريخ واسط بأن مسجد الحجاج كان فيه مقصورة ، ووقد أضاف بأن أرضية جامعة كانت مفروشة بادئ الأمر بأجر أحمر مرصوف رصفاً موازياً لجدار القبلة ثم أستبدل بأجر أصفر .

وظهر نتيجة الحفريات الأثرية التي قامت بها مؤسسة الآثار القديمة أن المسجد المكتشف في الطبقة العليا كان قد شيد على أسس مسجدين أقدم منه بإضافة بلاطة واحدة في كل من جانبيه وبأحداث محراب واسع قليل الغور في جدار القبلة .

- **المسجد الثاني :**

شيد فوق اسس الجامع الأول الذي بناه الحجاج وأنه يختلف عن الأول في جملة تخطيطه ، فقد بنيت له أسس جديدة فحولت قبلته نحو الجنوب الغربي بمقدار (٣٤ درجة) عن قبلة الجامع الأول ، وكان في وسط ضلعه الجنوبي محراب مقوس .

- **المسجد الثالث :**

شيدت أضلاعه على نسق الجامع الثاني للاستفادة من بقايا الجدران وأسس الجامع القديمة ، وقد أظهرت الحفريات الاثرية أن لهذا الجامع محراب سداسي يقع في وسط الجدار القبلي وكان يدعم أضلاعه الأربعة من الخارج (١٢ برج) أربعة منها على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة في الاركان، والبقية بشكل نصف دائرة ، وفي واجهته الشمالية ثلاثة أبواب وفي كل من جانبيه اشرقي والغربي أربعة أبواب، وثمة باب ضيقة بالقرب من المحراب السداسي .

- **المسجد الرابع :**

أقيم هذا المسجد على أسس الجامع الثالث الا أنه أضيف له بلاطة واحدة في كل من المجنبتين وبنى له محراب واسع قليل الغور خلال مدة الحكم المغولي ، وقد ظهر في الحفريات هذا المسجد من بين الانقاض أجزاء من بناء يمكن الاستدلال منها على شكل الاقواس التي كانت قائمة في المسجد وهي على شكل حدوة الفرس المدينة .

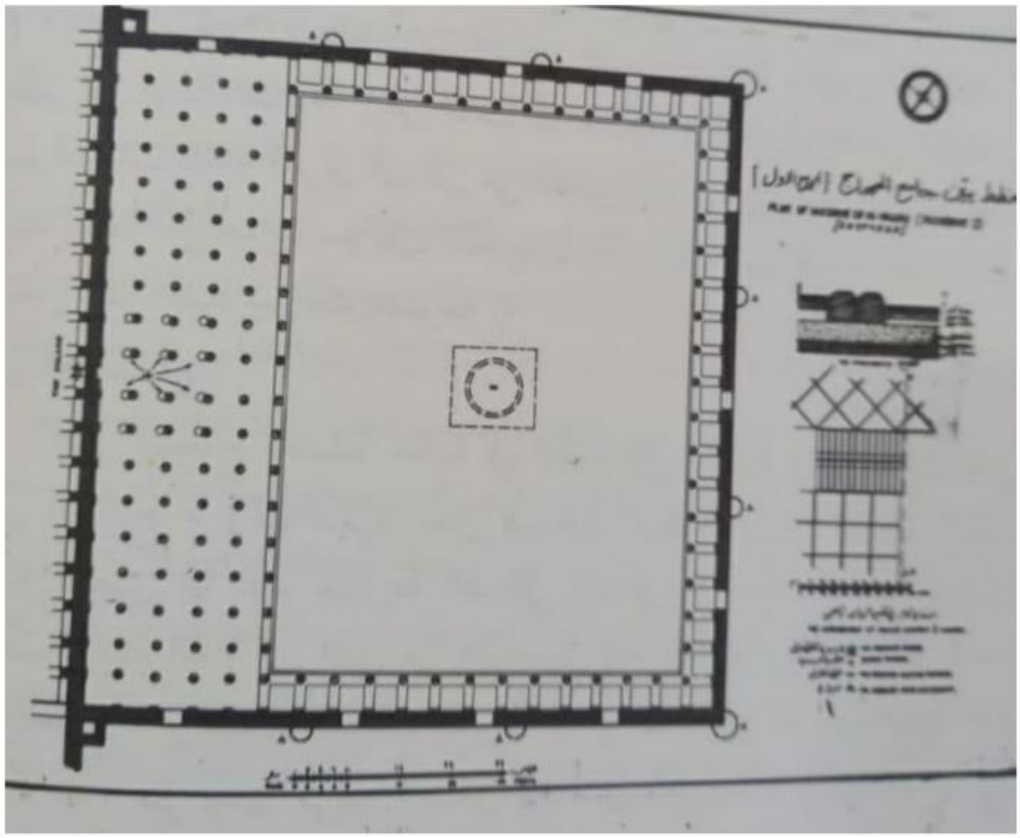

المسجد الاول الذي شيده الحجاج بن يوسف الثقفي

أحدى الاسطوانات التي وجدت في الجامع الاول الذي بناه الحجاج في مدينة واسط